

مبادرة الشرق الأوسط الكبير وتأثيراتها على تصدع التوافق الإستراتيجي الأمريكي الأوروبي
The Great Middle East Initiative and its influences on cracking down on US-Europe strategic consensus

- الدكتورة: رتيبة برد، أستاذة محاضرة (أ).¹

- جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر.

تاريخ الاستقبال: 2021/09/25 تاريخ القبول: 2021/10/27 تاريخ النشر: 2021/11/15

- ملخص:

يعد مشروع ومبادرة الشرق الأوسط الكبير من بين أهم المبادرات الإستراتيجية، التي تستوجب التمعن والتتبع، فهي تعكس المخطط الذي تعمل من خلاله الولايات المتحدة الأمريكية على تحقيق تطبيق سيطرتها ونفوذها في المنطقة، وتعد هذه الأخيرة من بين المناطق الجد حيوية في خريطة العالم. ورغمما عن كل ما يعرفه هذا الفضاء الشرق أوسطي من حالات التوتر والاستقرار تصر الإدارة الأمريكية على إستغلال الأوضاع لصالح تحقيق أهدافها ومقاصدها المعلنة والخفية، ورغم جل المعوقات والعراقيل.

إن هذا المشروع الذي يظهر على أنه مجموعة من السياسات الإصلاحية، يحمل في جوفه مقاصد أعمق وأخطر، مضامينها إعادة ترتيب وتشكيل جذري للمنطقة. عموما الفكر السياسي الأمريكي والأوروبي، يتوافق فيما يتعلق بفكرة ضرورة التغيير وإجراء إصلاحات في المنطقة، إلا أن الواقع يعكس وجود صراع كبير بين الأوروبيين والأمريكان حول الأهداف الإستراتيجية والأساليب المتخذة، ويتضح ذلك في تباين وتضارب الإستراتيجيات المنتهجة إزاء المنطقة.

- الكلمات المفتاحية: الشرق الأوسط، المبادرة، الانعكاسات، التوافق الاستراتيجي، الأمريكي الأوروبي

- Abstract :

The Great Middle East Project is an important initiative. It reflects the plan of the United States of America to achieve the control and influence in the region. Despite all the tension and instability that this Middle Eastern space defines, the American Administration insists on exploiting the situation in the interest of achieving its stated and hidden objectives.

This draft, which emerges as a set of reform policies, carries with it dangerous purposes, the contents of which are a radical restructuring of the region. American and European political thinking is consistent with the idea of the change and reforms, but there is conflict between Europeans and Americans

¹ - البريد الإلكتروني: ber_ratiba@hotmail.com

الدكورة: رتبة برد

over the objectives and methods taken, as evidenced by the divergence and conflict of strategies adopted with regard to the region.

Keywords: Middle East, initiative, reflections, strategic consensus, amirican-european

مقدمة:

تكتسب منطقة الشرق الأوسط أهمية كبيرة في النظام الدولي من الناحية الجيوبوليتيكية والإستراتيجية والاقتصادية إلى درجة انه يمكننا اعتبارها مفتاح السيطرة على العالم. فالمنطقة ذات عمق وموقع جد حساس وحيوي في خريطة العالم، مما جعلها لم تعرف الإستقرار على مدى التاريخ. وتعتبر أهمية وخصوصية هذه المنطقة بارزة على كل المستويات (حضاريا وأمنيا وسياسيا واقتصاديا).

وانطلاقا من هذه الأهمية فقد كانت ولا تزال المنطقة محط إهتمام العديد من القوى الكبرى لتحقيق اهدافها العالمية، وهي أيضا تلعب وتؤثر في حركة السياسة العالمية، وهذا ما يفسر كون السياسات الخارجية للدول الكبرى جد نشيطة اتجاهها. ذلك لما تشكله من رهانا أساسيا بالنسبة لمستقبل تحقيق مصالحها وزيادة قوتها ونفوذها إقليميا ودوليا.

يفسر ما سبق إشتداد التنافس الدولي عامة، والأوروبي - الأمريكي خاصة على إمتداد المنطقة الحيوية الممتدة على عدة فضاءات إستراتيجية من المغرب العربي وشمال أفريقيا وصول إلى أقصى الشرق الأوسط، من خلال مشروع الشرق أوسطي، لمواجهة السياسات الأوروبية، المتجسدة في التعاون الأورومتوسطي، إذ أن واشنطن لم تشأ أن تترك دول أوروبا تهنأ بهذه السياسات فقررت إرسال وزير خارجيتها "كولن باول Colin Powell" ليلتقي بقيادة الدول المغاربية ويجدد معها أواصر شراكة أمريكية تربطها مباشرة بدبلوماسية واشنطن في المنطقة العربية الشرق الأوسط على وجه الخصوص، وتحلى ذلك في القرار الخاص بإنشاء مكتب إقليمي لتنفيذ المبادرة الأمريكية لإقامة شراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط مقره داخل السفارة الأمريكية بتونس.¹

أما الإشكالية الأساسية التي نطلق منها فهي: ماهية المبادرة الشرق أوسطية، وما إنعكاساتها على الشركاء العرب أطلبيين؟

نلحق بهذه الإشكالية المحورية جملة من التساؤلات الفرعية، وهي كالتالي:

- ما المقصود بالفضاء الشرق الأوسط، وكيف تطور إصطلاحا وتاريخيا؟
- فيما تتمثل أهمية منطقة الشرق الأوسط وثقلها الجيوسياسي؟ وكيف نفسر الكم الهائل من المبادرات المتنافسة حولها؟

¹ - مجهول، صراع نفوذ على المغرب العربي بين أميركا وأوروبا، موقع: أخبار ليبيا، في: www.albayan.co.ae

الشرق الأوسط الكبير وتأثيراته على التوافق الإستراتيجي الأمريكي الأوروبي

- ما هو جوهر ومضمون مبادرة الشرق الأوسط الكبير المطروحة من طرف الولايات المتحدة الأمريكية؟
- ما هي تأثيرات وإنعكاسات المبادرة على التوافق الاستراتيجي الأمريكي الأوروبي

تنطلق الورقة البحثية من فرضية جوهرية مفادها، أن التوجهات الأمريكية المنفردة تجاه عدة مناطق في العالم، هي من بين القضايا المؤثرة على تراجع وتصعد الوفاق التقليدي داخل البيت الغرب عامة وبين الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية بشكل خاص

- أهمية الورقة البحثية:

تنصب الورقة البحثية على دراسة المبادرة التي طرحتها الولايات المتحدة الأمريكية لتأكيد هيمنتها الدولية المطلقة في كل المناطق الحساسة والإستراتيجية، والتي جاءت كرد على الاتحاد الأوروبي في دعم سيطرتها الإقليمية، مما يبين بما لا يدع شك في الأمر أن فكرة الغرب المتحالف تقليديا قابلة للمراجعة، وإن المصالح الإستراتيجية هي الفاصل الأساسي وأنها كفيلة بخلق الشقاق بين الحلفاء وداخل البيت الغربي. كما أن الورقة تنطلق من البعد المفاهيمي والتطورات التي رافقته عبر الزمان، ثم تنصب على تحديد جوهر المبادرة الأمريكية ومضمونها وتنتهي إلى تبيان تأثيراتها على العلاقات الأمريكية الأوروبية، وهو ما من شأنه أن يفصل ويتغلغل في الموضوع المدروس وتقديم إجابات للسؤال المتبادر في الأذهان إزاء المنطقة الشرق أوسطية والمبادرة الأمريكية.

- أهداف الورقة البحثية:

الورقة البحثية مثلها مثل الدراسات العلمية تعمل على تقديم الإجابات الوافية حول موضوع المبادرة الشرق أوسطية، الأمريكية الطرح، والتي تعرف ردود أفعال متباينة إقليمية ودوليا، جراء تأثيراتها وتداعيتها، ليس فقط على الدول الموجهة لها والتي تجد نفسها بصفة غير مباشر محتواة ومقيدة بإطار شراكة، ولكن من تداعيتها الإقليمية التأثير على التوازنات بين القوى الكبرى المتنافسة على النفوذ، بما في ذلك العلاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية وحليفها التقليدي الاتحاد الأوروبي. فهذه الورقة تحاول توضيح صورة الوضع وخلفياته.

- المنهجية المعتمدة

تعتمد الورقة البحثية لبلوغ أهدافها على مقارنة منهجية مبنية على مستويين أساسيين الوصفي والتحليلي، نجدها ملائمة لمقتضيات بحثنا، أساسها إجراء مسح لمنطقة الشرق الأوسط ومعرفة الأطراف الفاعلة والمؤثرة فيها وعلى توازنها الإستراتيجية، وذلك من خلال التركيز على العمق الجيوسياسي للمنطقة، وتحليل العلاقات التفاعلية فيها، وكذا إنعكاسات الأوضاع السائدة والمتربة عن تضارب السياسات والإستراتيجيات على الأطراف المباشرة والغير مباشرة فيها سواء كانت توافق أو تنافس.

وكما هو جلي في موضوعنا نجد أن المنهج التاريخي يعتبر أساسي وضروري، ولقد تم الإستعانة به خاصة في تتبع التطور التاريخي للإهتمام بالمنطقة الشرق أوسطية عامة وتطور محتوى المبادرة الشرق أوسطية كذلك.

الدكتور: رتيبة برد

كما نستعين بمنهج تحليل القوة، إذ ينظر هذا المنهج في تحليل علاقات القوة داخليا وخارجيا، كون هذه المنطقة بالذات من خريطة العالم تعرف تنافس كبير على القوة وبسط النفوذ والتأثير على التوازنات الإستراتيجية، فهذا المنهج يساعدنا على فهم لعبة التأثير على دول المنطقة والعمل على إضعاف قوة بعضها علي حساب زيادة قوة دول أخرى. كما يدرس المنهج كل ما يرتبط بمقومات القوة سواء من جوانب الطبيعية، وموارد الثروة الاقتصادية، والثروة البشرية. كما ينظر في وأثر البيئة الجغرافية على علاقاتها السياسية الداخلية والخارجية.

1- الشرق الأوسط: التطور المفاهيمي والتاريخي:

لا بد قبل كل شيء من فرز المصطلحات المتداخلة في مضمونها وتاريخ بروزها، وهذه المصطلحات تعبر عن مسار التقسيم والتسابق الغربي على حساب الشرق الكبير بكل ما تحمله الكلمة من دلالات ومعنى، فتولد على هذا ثلاث تقسيمات هي كالتالي:

1.1- الشرق القديم أو (الأقدم):

لقد أستخدم علماء الآثار والحضارة هذا المصطلح للدلالة إلى المنطقة التي نشأت فيها أولى حضارات الأرض أو ما تسمى بالعالم القديم، وهي المنطقة الممتدة من مصر والعراق وبلاد الأناضول وإيران غرباً.¹

2.1- الشرق الأدنى:

ظهر المصطلح والمفهوم منذ إنشغال الغرب عامة بحرب القرم (1854/1856)، التي أذنت مبكرا ببدء أفول الدولة العثمانية، لدرجة تسميته بـ"الرجل المريض"، الذي قضي عليه وبعدها تكالب الغرب على تقسيم تركته، وتولد عن ذلك ما سمي "المسألة الشرقية" *The Eastern Question* ".²

3.1- الشرق الأقصى:

ظهر وبدأ إستعمال هذا المصطلح والمفهوم منذ عام 1751، عندما تحولت الهند إلى منفذ ومدخل طبيعي جغرافي للأوروبيين؛ لإخترافهم إياها في القرن الثامن عشر، وتفاقم المصالح الإستعمارية بعد ذلك على إمتداد القرن التاسع عشر، مما أدى إلى نهوض واحدة من أخطر القضايا التاريخية الإقليمية، التي مازالت تداعياتها مستمرة حتى يومنا هذا ألا وهي "المسألة الهندية".²

4.1- الشرق الأوسط:

¹ - يحيى احمد الكعكي، الشرق الأوسط وصراع العولمة، بيروت: دار النهضة العربية، 2002، ص ص 124، 125

² - Gaisford. John, *Atlas of Man*, London: Marshal Cavendish Edition, 1978, p16.

- كذلك: نسيار الجميل، "المجال الحيوي للشرق الأوسط"، في: العرب وتحديات النظام العالمي، ط1 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1999)، ص225.

الشرق الأوسط الكبير وتأثيراته على التوافق الإستراتيجي الأمريكي الأوروبي

بدأ شيوع تداول هذا المصطلح والمفهوم منذ عام 1902 من خلال سلسلة من المقالات التي كتبها مراسل صحيفة "تايمز" اللندنية وجمعها في كتاب بعنوان "الدفاع عن الهند"، للدلالة على المناطق الشمالية والغربية لحدود الإمبراطورية البريطانية في الهند، وتشمل أفغانستان وإيران والعراق،¹

بعدها في عام 1911 إستعمل حاكم الهند البريطاني "لورد كرزون" هذا المصطلح في جلسة مناقشة لمجلس العموم مشيراً به إلى إيران وتركيا والخليج العربي، ثم إستعمل المصطلح إبان الحرب العالمية الأولى، حينما شكلت بريطانيا "قوات الشرق الأوسط"، كما شاع إستخدامه في الفترة التالية حتى في فرنسا التي كانت تستخدم مصطلحي الشرق-المشرق "East-Bright"، فأحدثت قسماً في خارجيتها، أسمته قسم "الشرق الأوسط" مختصاً بمنطقة تمتد من اليمن حتى إيران.

بناءً على ذلك يتبين أن منطقة الشرق الأوسط، كانت ومنذ بروز المصطلح الذي يبرز ويعكس التصورات الغربية تجاهها بشكل يعبر عن لعبة المصالح الغربية المتضاربة والمتسابقة، والتي بدأت مع مشاريع التقسيم الإستعماري، وهي تشير إلى الوطن العربي.

وهذا الأخير رغم تحرره من قبضة الإستعمار الغربي من المحيط إلى الخليج، لاتزال قبلته الأولى "فلسطين، في قبضة الإبن المدلل بإمتياز للإستعمار الغربي وخليفته إسرائيل، لتشكل "القضية الفلسطينية" الشوكة التي لاتزال واقعة في الحلق.

تستثمر الولايات المتحدة الأمريكية من جهتها في البعد الشرق أوسطي، منذ أن آلت إليها الزعامة والهيمنة على النظام العالمي، ولقد طرح الرئيس الأمريكي الأسبق "جورج بوش" الابن *George W. Bush, Jr.* مشروع الشرق الأوسط الكبير² في فيفري 2004،³ بعد مضي سنة من إحتلال العراق،⁴ وبعد سلسلة مبادرات ومواقف كانت الإدارة الأمريكية قد طرحتها بعد الهجوم على برججي مركز التجارة العالمي بنيويورك ومبنى البنتاغون

1 - أحمد صدقي الدجاني، الجذور التاريخية للشرق أوسطية، في: الشرق أوسطية مخطط أمريكي - صهيوني، ط1 (القاهرة مكتبة مدبولي، 1998)، ص. 37، 38.

2- تشير الدراسات المنشورة منذ بداية عقد التسعينيات إلى أن الشرق الأوسط ليس له ملامح جغرافية محددة المعالم، لكن البعض يشير إلى أنها المنطقة الجغرافية الواقعة ما حول وشرق وجنوب البحر الأبيض المتوسط وتمتد إلى الخليج العربي. لقد سميت هذه المنطقة في عهد الاكتشافات الجغرافية من قبل المكتشفين الجغرافيين بالعالم القديم، وهي مهد الحضارات الإنسانية وكذلك مهد الديانات السماوية. يمكن القول إن الكيانات السياسية في هذه المنطقة تتمثل بالدول التالية: العراق، السعودية، فلسطين، الكويت، الأردن، لبنان، البحرين، قطر، الإمارات، اليمن، سوريا، مصر، سلطنة عمان، السودان، إيران، أرمينيا، تركيا، قبرص.

3- بدأ في فيفري 2004 كمخطط غير واضح المعالم يهدف في مجمله إلى ملء الفراغ الناتج عن عجز الدول العربية.

4- هذا الطرح التوسيعي لـ "شرق الأوسطية" شدد عليه الرئيس الأمريكي الأسبق "جورج بوش" الأب في كلمته أمام الجلسة الافتتاحية لمؤتمر مدريد عندما قال: ((إن هدفنا ليس إنهاء حالة الحرب في الشرق الأوسط، وأن نحل محلها حالة عدم الحرب، إن هذا لن يستمر، لكننا نريد السلام الحقيقي، إنني أتحدث عن الأمن والعلاقات الاقتصادية والتجارية والتبادل الثقافي)).

الدكورة: رتبة برد

بواشنطن في 11 سبتمبر 2001، بغية التعامل مع مشكلات المنطقة العربية، لكن في الواقع فكرة المشروع بالنسبة للأمريكان تعود إلى 1924 في مؤتمر "بالتيمور".¹

أما فيما يتعلق عموماً بمفهوم الشرق الأوسط، فهو يرجع إلى رجل الاستخبارات البريطاني الجنرال توماس إدوارد جوردن *Thomas Edward Gordon* (1832/1914) الذي كان أيضاً مديراً للبنك الإمبراطوري الفارسي في مقالة كتبها عام 1900، ينبه فيها الحكومة البريطانية إلى الخطر الروسي على المصالح البريطانية في الهند، خاصة من خلال تقدمها في بلاد فارس، إيران حالياً. ولكن مفهوم الشرق الأوسط ارتبط في الأوساط الأكاديمية بالجنرال الأمريكي الفرد ماهان *Mahan* ضابط البحرية الذي كتب مقالة عام 1902 عن الخليج العربي والعلاقات الدولية نشرت في إحدى الدوريات البريطانية، وقد نبه الحكومة البريطانية لأهمية منطقة الخليج العربي الذي أطلق عليها الشرق الأوسط للإمبراطورية البريطانية ومصالحها في الهند.²

ولقد أخذ مصطلح الشرق الأوسط يتكرر فيما بعد في الدوائر الاستعمارية الغربية حتى تم تأسيس قيادة الشرق الأوسط في القيادة العسكرية للحلفاء في الحرب العالمية الثانية. وعندما أعلنت دولة إسرائيل عام 1948، اعتبر "بن جوريون" أن إسرائيل تقع في محيط من العرب السنة، فركزت إسرائيل على مفهوم الشرق الأوسط، للتدليل الحضاري على أن المنطقة ليست ذات أغلبية عربية، وإنما هي أقليات دينية وعرقية،³ ولذلك اهتمت وسائل الإعلام الإسرائيلية والدوائر الحكومية فيها بالترويج لمفهوم الشرق الأوسط وقضية الشرق الأوسط لتميع القضية الفلسطينية والشخصية الإقليمية العربية.⁴

2- أهمية منطقة الشرق الأوسط وثقلها الجيوسياسي:

ننتقل في حديثنا عن الأهمية الإستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط، من ما عبر عنه الكاتب الألماني "ارنست جاخ" حين قائل: ((أن الحرب تأتي من الشرق والحرب ستتدلع بسبب الشرق وتحسم في الشرق)).⁵ يمكننا عموماً توضيح هذه الأهمية الإستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط من خلال النقاط التالية:⁶

1 - تبنى فكرة تحقيق القيادة اليهودية لكل الشرق الأوسط

2 - أحمد سليم البرصان، مبادرة الشرق الأوسط الكبير: الأبعاد السياسية والاستراتيجية، في الإستراتيجية الأمريكية في المنطقة مشروع الشرق الأوسط الكبير، القسم الأول، المتابع الاستراتيجي، 2004، ص 21. انظر الرابط: <http://goo.gl/GaUrb6>

3 - ولقد تنبه إلى خطورة هذا المفهوم في الدراسات الإقليمية كل من علي الدين هلال وجميل مطر في كتابهما القيم عن النظام الإقليمي العربي (الصادر عن مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1985) الذي يؤكد على الشخصية الإقليمية العربية بدلا من الشرق الأوسط.

4 - أحمد سليم البرصان، المرجع السابق.

5 - زين نور الدين، الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان، بيروت: دار النهار للنشر، 1971، ص 01

6 - صدام مرير حمد عطية، الصراع الدولي والإقليمي في الشرق الأوسط وأثره على المنطقة العربية (انموذج ثورات الربيع العربي)، مجلة تكريت للعلوم

السياسية، 2017، المجلد 03، العدد 11، ص 302-300

1.2- الأهمية الحضارية والتاريخية:

تعتبر المنطقة مهد للحضارة، ومولد أولى الحروف وموطن الكلمة والكتابة في العالم واول من صنع وأنشئ الابنية الحضارية، حيث نشأة فيها العديد من الحضارات نذكر اهمها على سبيل المثال حضارة وادي الرافدين " بابل واشور وسومر واكد" وحضارة وادي النيل " الحضارة الفرعونية " والحضارة الفينيقية في بلاد الشام، وكانت تتبع نظاماً قانونياً وسياسياً يرتب حياة الناس، في الوقت الذي كانت باقي شعوب العالم تعيش في الكهوف وعصور الظلام، وتخاف من الشمس لشدة حرها، وقد نشأ تنوع فكري وثقافي، نتيجة وجود تلك الحضارة.

2.2- الأهمية الدينية:

المنطقة مهد للديانات السماوية الثلاث الكبرى في العالم (اليهودية والمسيحية والاسلامية)، فكل أنبياء الأرض نزلت رسالاتهم في هذه البقعة من العالم، ما بين مصر وفلسطين وبلاد الشام والعراق والاردن ونجد والحجاز، وإلى هذه المنطقة تھوى كل أفئدة وأنظار المؤمنين في جميع أنحاء العالم.

3.2- الأهمية الاقتصادية:

ترتبط الأهمية الاقتصادية لمنطقة الشرق الأوسط بحملة من المميزات نستعرض أهمها:

- احتياط النفط في الشرق الأوسط ب 66 % من احتياط النفط العالمي، في نهاية القرن العشرين انتج الشرق الاوسط حوالي ثلث الانتاج العالمي من النفط وتعد هذه المنطقة المزود الرئيس للنفط للعالم المتطور وخاصة أوروبا، الولايات المتحدة الاميركية، روسيا، واليابان، وهذا اعطى لبعض الدول في الشرق الاوسط قوة اقتصادية اثرت كثيراً على شعوب المنطقة.
- إن النفط الشرق أوسطي موجود بكثرة في منطقة الخليج العربي، وعلى هذا الأساس تحاول الدول الكبرى ان تشرف على المنطقة، واليوم المشرف الوحيد على المنطقة هو الولايات المتحدة الاميركية، وبصفة خاصة للنفط في الشرق الاوسط لأنه غير مكلف، فمن كل بئر نفط تستخرج كميات كبيرة ولا حاجة لحفر آبار كثيرة وعميقة.
- وفرة الموارد الاقتصادية، ومن بينها معادن ثمينة جديدة في منطقة الشرق الأوسط، مثل اليورانيوم، والزنك، والفوسفات والغاز.
- المنطقة من أكبر الأسواق المستهلكة للسلاح، لقد صرفت دول المنطقة الكثير من الأموال من أجل الحروب وشراء الاسلحة في الشرق الاوسط حيث كلفت مليارات الدولارات، كان بإمكان هذه الاموال الطائلة ان تحول الشرق الاوسط إلى جنة، وتنقل شعوبه إلى مصاف الشعوب المتطورة.
- وفرة الطاقات البشرية والعلمية، وغالبية هذه العقول العلمية مهجرة في اميركا واوروبا، فضلاً عن وفرة اليد العاملة.

4.2- الأهمية الإيديولوجية:

إن منطقة الشرق الأوسط تختلف إختلافاً كبيراً عن جميع مناطق العالم، فشعوب هذه المناطق أغلبها صاحبة حضارات قديمة وكبيرة قادت النظام العالمي لسنين طويلة، وهي دائماً تطمح لإعادة أجماد هذه الحضارات، وظهرت عدة محاولات لتوحيد الامة منذ عهد الراحل جمال عبد الناصر ومجموعة من الزعماء والمفكرين القوميين العرب، وبالتالي فهي تشكل خطراً على قادة النظام العالمي.

كما أن المنطقة تعتبر من بين أكثر المناطق التي عانت ويلات الصراع شرق- غرب أثناء الحرب الإيديولوجية البارة بين المعسكرين (الاتحاد السوفياتي - الولايات المتحدة الأمريكية). ولا تزال المنطقة تعاني مخططات وسياسات إيديولوجية، على رأسها الزحف الصهيوني مع إعادة بناء ترتيبات المنطقة تحت حجة محاربة التيارات الأصولية والإرهابية، وحجبة نشر الديمقراطية.

5.2- الأهمية الاستراتيجية:

للمنطقة أهمية كبيرة نظراً للعديد من النظريات التي تبين أهمية هذه المنطقة وأن الذي يسيطر على هذه المنطقة يسيطر على العالم. وتختلف أهمية الشرق الأوسط إختلافاً كبيراً تبعاً للعواصم الكبرى، والصغرى في الحقيقة التي ينظر كل منها إليه.

فعلى سبيل المثال، نجد أن ما تراه موسكو في الشرق الأوسط مختلف جداً عما تراه واشنطن، ولموسكو رغبات هامة في الشرق الأوسط، وأحلام قديمة في السيطرة على هذه المنطقة، ولواشنطن مصالح حيوية أكبر في هذه المنطقة، وهي المهيمن وبشكل كبير على هذه المنطقة، فضلاً عن بريطانيا التي لها تاريخ طويل من الاستعمار والسيطرة على المنطقة ولا زالت تمتلك شركات للنفط في منطقة الخليج العربي، وتعتبرها منطقة نفوذ مهم لها.¹

إن الأهمية التي تخصى بها منطقة الشرق الأوسط هي التي دفعت في 2005 مركز الولايات المتحدة وأوروبا في معهد بروكينز، وأربع منظمات أوروبية رائدة: (معهد الاتحاد الأوروبي للدراسات الأمنية، وكلية كينغز في لندن ومؤسسة العلوم في برلين، ومؤسسة الدراسات الإستراتيجية في باريس)، بتوحيد الجهود في مسعى لتطوير تحاليل مشتركة وإستراتيجية متممة للأزمات الممتدة في الشرق الأوسط، في بادئ الأمر أقام المركز لجاناً من الخبراء رفيعي المستوى في الشأن الأطلسي، والبحث عن الطرق الكفيلة لردم بعض الهوات الأساسية في منطقة الشرق الأوسط، وإيجاد الحلول لاحتواء هذه المنطقة.²

¹ - سيف الهرمزي، مقتربات القوى الذكية الاميركية كآلية من آليات التغير الدولي "الولايات المتحدة الأمريكية أمودجاً"، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016، ص ص 248- 270

² - أيفو دالدر وآخرون، هلال الأزمات "الإستراتيجية الأمريكية-الأوروبية حيال الشرق الأوسط الكبير"، تر: حسان البستاني، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2006، ص 09

الشرق الأوسط الكبير وتأثيراته على التوافق الإستراتيجي الأمريكي الأوروبي

3- جوهر ومضمون مبادرة الشرق الأوسط الكبير:

سينصب هذا الشطر بصفة عامة، على التعريف بصفة عامة وموجزة بالمبادرة الشرق أوسطية، وكذا التعريف بأهم أبعادها ومضمونها، مما يسمح بفهم حيثياتها ويمهد للإشارة إلى إنعكاساتها.

1.3- جوهر المبادرة الشرق أوسطية:

إن جوهر مشروع الشرق الأوسط الكبير هو في الأساس عبارة عن عملية مضادة للتحرك الأورومتوسطي من قبل الولايات المتحدة الأمريكية،¹ تشمل المنطقة المحصورة بين باكستان حتى المغرب غربا ومن تركيا شمالا والصومال والجمهورية اليمنية جنوبا، بحيث تشمل كافة الدول العربية وإيران وتركيا وقبرص، بشكل محكم يخدم المصالح الأمريكية الاقتصادية والإستراتيجية والسياسية.

لقد إنتهزت الدوائر الأمريكية الحاكمة في إدارة بوش الابن هجمات 11 سبتمبر 2001 والعدوان على العراق والإطاحة بنظام "صدام حسين" لفرض تصوراتها عما أسمته "الشرق الأوسط الكبير"،² الذي يقوم على بصفة عامة على إعادة صياغة كاملة للخريطة الجيوإستراتيجية للمنطقة العربية.

تتضمن المبادرة بصفة غير مباشرة ومعلنة على القضاء على بقايا النظام الإقليمي العربي، عبر طمس مقوماته الثقافية، الحضارية وتذويب هذا الفضاء (السياسي، الجغرافي، التاريخي، الثقافي) المشترك في نطاق إستراتيجي أوسع يمتد من بحر قزوين وشمال القوقاز شمالا وشرقا إلى المغرب غربا.

2.3- أهم محاور المبادرة الشرق أوسطية:

تتضمن المبادرة "الشرق أوسطية" الأمريكية، التي جاءت في ظل منافسة الإتحاد الأوروبي وقطع الطريق أمام طموحه التوسعي لبلوغ مكانة أكبر، مبنية على شقين أو محورين أساسيين هما التاليين:

■ التعاون السياسي والإقليمي:

يقول أحد كبار المندوبين الأمريكيين الشرق أوسطيين: "أن العربي بحكم الجوار والمصالح هو شرق أوسطي"،³ ولذلك لابد من بناء سياسة كاملة للتعامل مع هذا الطرف العربي، لذا نجد أن المخططات الأمريكية تسعى إلى بناء فضاء إلتقاء وتوافق بين الغرب عامة والأطراف العربية من جهة.

¹ - في الواقع مشروع الشرق الأوسط يعتبر مبادرة أمريكية-إسرائيلية لا تنظر إلى المضمون الحضاري أو الثقافي أو التاريخي، أو اللغوي لدول المنطقة، لكنها في المقابل تضمن أمريكا أمن إسرائيل وتفوقها كأداة حارسة للمصالح الأمريكية في المنطقة، وحماية التدفقات النفطية من الخليج العربي، وتشجيع ونشر سياسة اقتصاد السوق.

² - تبنته مجموعة الثماني G8، في إطار "منتدى المستقبل" المجتمع في ديسمبر 2004، الإقتراح الذي يعطي الإمتياز لتوجه في العلاقات الدولية يستند إلى الفوارق بين الثقافات، وجاء فيه: (إن مبادرة الشرق الأوسط الكبير وشمال إفريقيا موجهة للبلدان الإسلامية بغض النظر عن كونها عربية أم لا).

³ - حسين علي أحمد محافظة، "صراع الأدوار في المشرق العربي: نظرات في المستقبل"، العدد 211، (1996)، ص 360.

الدكتورة: رتيبة برد

لكن من جهة ثانية وهي الأهم والأخطر تسعى الولايات المتحدة الأمريكية من خلال من خلال تبريرات واهية إلى زرع الكيان الصهيوني في ظل الضعف العربي، من خلال بناء مركز مشترك يمكن من التفاعل سياسيا واقتصاديا، كحل وسط يسمح بحالة من التعايش ليس فقط بين الطرفين، وعلى صعيد المنطقة كلها، والتي تجمع بين الثروات الطبيعية والبشرية والقدرة التكنولوجية.

لا يكتمل الأمر إلا من خلال ربط كافة أطراف المعنية بالمبادرة بما فيها إسرائيل والدول العربية بالمصالح والمنافع المشتركة، فهو في نظر الأمريكان الحل الأفضل للصراع العربي الإسرائيلي، ومن شأن المبادرة والمصالح المشتركة أن تكون المحصن من إحتمال تجدد الصراع مستقبلاً،¹ وفي نظر الولايات المتحدة الأمريكية المبادرة الشرق أوسطية هي في النهاية عبارة عن ترتيبات جزئية متعددة الأطراف والمجالات، تؤسس لنظام جديد ذو هوية جديدة.

من جهتها قدمت تل أبيب في محاولة منها لبسط السيطرة والنفوذ، مقترحات للتنسيق الأمني بين الدول العربية وبينها، وصولاً إلى إقامة نظام للإنذار المبكر يقوم على جمع وتبادل المعلومات الاستخباراتية والأمنية بينها وبين الأطراف العربية، وبما يكفل الحيلولة دون حدوث أزمات مفاجئة وإدارة الأزمة وقائياً. لقد جاءت البرامج التي طرحتها واشنطن في هذه المبادرة الموجهة نحو الدول العربية والمتوسطة بشكل موازي للعلاقات الأوروبية العربية والمتوسطة، تشمل:

- مساعدة المنظمات غير الحكومية والأفراد المنتمين إلى جميع الفئات السياسية العاملين في سبيل الإصلاح السياسي من خلال آليات كصندوق ديمقراطية الشرق الأوسط.
 - دعم إنشاء مزيد من المنظمات غير الحكومية وشركات وسائل الإعلام المستقلة، ومنظمات إجراء الاستفتاءات ومؤسسات الفكر والرأي وغيرها.
 - برامج شفافية النظم القانونية والتنظيمية وتحسين إدارة العملية القضائية.
 - التدريب المرشحين لمناصب سياسية وبرلمانات وغيرهم من المسؤولين المنتخبين.
 - التدريب والتبادل للصحفيين في الصحف التقليدية والصحافة الإلكترونية.
- الملاحظ أن الأهداف السياسية والأمنية في المبادرة الشرق أوسطية تغلب الأهداف الاقتصادية، كونه يهدف أكثر إلى إحتواء المنطقة والتحكم فيما سمي "الإرهاب الجهادي" "Jihadi terrorism" كما أن هذه المبادرة الأمريكية تسعى إلى جعل إسرائيل بعداً ثالثاً للعلاقات الأمريكية العربية،² مما لا ينبأ بأفاق إيجابية لحل لأزمة الصراع العربي الإسرائيلي، والإستقرار والأمن في المنطقة كلها.

¹ - حسن أبو طالب، "الفكر العربي والشرق أوسطية"، مجلة عالم الفكر، المجلد 25، العدد 4، (1997)، ص 86.

² - صممت إدارة بوش الابن على أن تقوم الولايات المتحدة بنفسها بهذه المهمة مباشرة وليس عبر إسرائيل، وصمم بوش على أن تحتكر إدارة مهمة إعادة الهيكلة الشاملة للوطن العربي والعالم الإسلامي فيما يعرف بمشروع "الشرق الأوسط الكبير"، وحدها، ولم يقبل بمشاركة الآخرين بمن فيهم الحلفاء الأوروبيون أنفسهم بل هدد الجميع بأن من لم ينضم إلى تصوره في هذا الصدد إنما يدخل أتوماتيكياً في خانة دعم الإرهاب أو التستر عليه.

الشرق الأوسط الكبير وتأثيراته على التوافق الإستراتيجي الأمريكي الأوروبي

ضف إلى ذلك ما يميز السياسات الأوروبية من وضوح عن السياسة الثنائية للولايات المتحدة الأمريكية والتي أصبحت منذ عدة سنوات الفاعل الأكثر حضوراً في المنطقة، من خلال الترابط القوي بين الإصلاحات السياسية، الاقتصادية والاجتماعية والتي كانت قد دعت إليها الشراكة الأوروبية المتوسطية.

■ التعاون الاقتصادي:

تضمن المشروع الشرق أوسطي الأمريكي،¹ برامج للتعاون الاقتصادي في قطاعات ومشروعات محددة أبرزها ما يتعلق بالمشاركة في الموارد الطبيعية والتكنولوجية والبشرية، التعاون في ميادين البحث العلمي، توسيع أسواق المنطقة، جذب الاستثمارات الخارجية ومن دول النفط العربية، جذب مؤسسات التمويل الدولية للاستثمار في تطوير البنية الأساسية الإقليمية، وتأسيس صندوق إقليمي للتنمية في الشرق الأوسط.

يسعى عموماً المشروع أو الطرح الشرق أوسطي الذي يقوده الثنائي الأمريكي-الإسرائيلي إلى تجسيد السوق الشرق أوسطية، المبنية على جملة من الأسس المعلنة التي تمكن من تحقيق وجود سوق مشتركة واسعة تعامل ضرورة مع التكتلات الاقتصادية الدولية ولأجل دمج المنطقة في النظام العالمي الجديد، كما تحقق الكفاءة الاقتصادية في تخصيص الموارد واستخدام التكنولوجيا المتقدمة بما يساعد على رفع معدلات النمو في كل من دول المنطقة، التي ستغدو جذباً للاستثمارات الأجنبية.

4- انعكاسات المبادرة على التوافق الاستراتيجي الأمريكي الأوروبي:

من خلال تمعننا في مضمون المبادرة الشرق أوسطية، تبين لنا أبعاد وتأثيرات المبادرة وذلك من خلال المؤشرات السياسية والاقتصادية التي تعتبر كردود فعل الولايات المتحدة الأمريكية إزاء سياسات الاتحاد الأوروبي وتوجهاته الطموحة، مما جعل من العلاقات الأمريكية- الأوروبية التي كانت تتميز بالتعاون والتحالف منذ القرن التاسع عشر إلى غاية نهاية الحرب الباردة بين القطبين، بحكم الحفاظ على تدفقات البترول إلى الأسواق الأوروبية والأمريكية، والعمل المشترك على منع أي طرف إقليمي من السيطرة على إنتاج القدر الذي يسمح له بالتحكم في هذه الأسواق، إضافة إلى كون أوروبا، كانت لفترة كبيرة تدور في فلك الولايات المتحدة الأمريكية، نتيجة إيهامها بأنها عاجزة عن تأمين أمنها وإستقلالها من المد الشيوعي العالمي.

أوضحت العلاقات بين الطرفين في الوقت الراهن تتسم بمزيج من التعاون والتصادم، إذ أصبح التنافس والإختلاف في الرؤى صبغة أساسية، في تحركات الطرفين وعلى كافة المستويات، مما جعل الولايات المتحدة الأمريكية تعتمد إلى تقزيم الاتحاد الأوروبي في المحافل الدولية خاصة في القضايا الساخنة، عن طريق إلغاء دورها كطرف له وزنه على الساحة الإقليمية والدولية، وإيهامها بأنها مازالت بحاجة إلى المظلة الأمريكية وخاصة في المجال الأمني، مع بروز خطر الإرهاب الدولي، ومن ثمة فلا بد على الولايات المتحدة الأمريكية أن تفقد العالم في محاربتة، وما على الحلفاء إلا الإنقياد وراء الأطروحات الأمريكية.

¹ - مشروع الشرق الأوسط الكبير يشمل بناءاً على تقرير للأمم المتحدة ثلاث ميادين هي : نشر الديمقراطية والحكم الرشيد، وبناء مجتمع معرفي وتوسيع الفرص الاقتصادية.

الدكتورة: رتيبة برد

يعمل الطرف الأوروبي مقابل ذلك، وبقيادة الشنائي الفرنسي الألماني، على قطع الطريق أمام تعزيز الولايات المتحدة الأمريكية لنفوذها في مناطق يعتبر نفسه ولأسباب جغرافية وتاريخية أنه أولى بها، فيتحول التنافس بين الطرفين إلى حرب مواقع إقتصادية وأسواق تجارية في إطار التنافس المصلحي حول مناطق النفوذ. إن النظرة الأوروبية مبنية في جوهرها على محاولة فرض تواجدها باعتبارها الحليف الطبيعي للولايات المتحدة الأمريكية وقوة لها وزنها الإقليمي والعالمي.

يبقى أن نزعاً انفصالية وإستقلالية الأوروبية، مفادها الإستعانة بقوات الردعية الأوروبية، للتخلص من التبعية الأمريكية في مجال الأمن، من أجل الوصول إلى نقطة التوازن في علاقاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية، التي تسعى من خلال عموماً من خلال تنافسها مع الأطراف الدولية الصاعدة والطموحة إلى تحقيق الأهداف التالية:¹

- تأكيد ودعم العولمة بكل أبعادها، والسيطرة على مناطق الطاقة، ودعم القوى الحليفة،
 - منع ظهور قوة منافسة أي كانت طبيعتها أو العلاقة التي تربطها بالولايات المتحدة الأمريكية،
 - تقع إشكالية الولايات المتحدة في التوفيق بين التنافس الإقتصادي بينها وبين حلفائها (الإتحاد الأوروبي واليابان) وبين التحالف السياسي والأمني معها.
- يمكن الإشارة إلى مجموعة من المظاهر الراهنة والتي تعكس أو تدعم فرضية تدني نسبة الهيمنة الأمريكية، أبرزها ما تعلق بإستمرارية تنامي التضيق على السياسة التجارية الأمريكية في دول عدة مثل البرازيل والفلبين واليابان وجنوب أفريقيا، توتر العلاقات التجارية بين الولايات المتحدة وبين حوالي مائة (100) دولة بمستويات مختلفة، تراجع حصة الولايات المتحدة من إجمالي الناتج العالمي من 50% عند إنتهاء الحرب العالمية الثانية إلى 22,5% في الوقت الحاضر، التأزم الإجتماعي داخل الولايات المتحدة مثل الجريمة والتناقضات السكانية والعرقية.

5. الخاتمة:

نخلص من خلال ما سبق إلى أن التوجهات والسياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية في فترة ما بعد الحرب الباردة تختلف جذرياً عما كان قبلها، ويعود ذلك إلى عدة اعتبارات أهمها التحولات التي حدثت على مستوى العلاقات الدولية مثل ظهور فاعلين جدد مؤثرين على الساحة الدولية والإقليمية كما الحل بالنسبة للإتحاد الأوروبي كقوة إقتصادية وتضاعف ظاهرة الإعتماد المتبادل، لكن كذلك ظهور مؤثرات عبر قومية كالإرهاب، الهجرة والجريمة... إلخ فهذه الاعتبارات وغيرها المتعلقة بالجانب الإقتصادي والتنافسي أدت بالسياسة بالولايات

¹ - وليد عبد الحفي وأخرون ، آفاق التحولات الدولية المعاصرة، (مؤسسة عبد الحميد شومان ودار الشروق، ط.1، 2002)، في عرض لإبراهيم

غرايبة، توقفت النشر الاثنين 2002/8/26، الساعة 07:33، في: [www. eljazeera.net](http://www.eljazeera.net)

الشرق الأوسط الكبير وتأثيراته على التوافق الإستراتيجي الأمريكي الأوروبي

المتحدة الأمريكية لان تتمسك وتدافع على مصالحها الدولية أكثر من أي وقت في مواجهة شرسة لدعم موقعها ومكانتها الريادية.¹

كما أن من أهم نقاط الخلاف بين الأوروبيين والولايات المتحدة الأمريكية، هو أن هذه الأخيرة تعتبر إسرائيل شريكها الاستراتيجي في منطقة الشرق الأوسط، وتعمل بذلك جاهدة على دعمه ليظل متفوقة عسكرياً على دول المنطقة. كما أن التحولات الدولية التي تلت 11 سبتمبر 2001، غيرت معطيات الوضع في الشرق الأوسط كله، وجعلت الإدارة الأمريكية وتحت غطاء محاربة الإرهاب، تدعم بصفة علنية الطرف الإسرائيلي على حساب الفلسطيني، مما يعرقل مساعي السلام وتحقيق الاستقرار في المنطقة.

إن التوجهات والسياسات الأمريكية في الشرق الأوسط تثير إستنكار الدول الأوروبية، فالإتحاد الأوروبي يعارض التوجه الأمريكي الجديد الذي لا يخدم مسار السلام في المنطقة ولا يساهم في جهود الأمن والإستقرار المطلوبان، مما يتنافى مع مشاريع الشراكة الأورومتوسطية عامة. إن سلبية الدور الأمريكي في الشرق الأوسط، جعل دول المنطقة تطالب بدور أكثر فاعلية للشريك الأوروبي، كونه يعتبر أكثر نزاهة من الطرف الأمريكي

نستشف أيضاً أن حالة اللاتوافق والتنافس بين الطرفين الأمريكي والأوروبي مرشحة أن تتزايد وتعمق في المستقبل، وهذا الوضع لا يمكن فصل عن حالة التنافس الكبير على الترتيبات الدولية. فالدول الأوروبية تعي تماماً أن الولايات المتحدة الأمريكية، لا تسعى من خلال سياساتها بما فيها مبادرة الشرق الأوسط الكبير إلا إلى لبسط نفوذها على كافة المناطق الحيوية في العالم.

ضف إلى ذلك أن الطرف الأوروبي وحتى أغلب دول المنطقة الشرق أوسطية تعي تماماً طبيعة التحديات الراهنة والمستقبلية، إذ تحاول الولايات المتحدة الأمريكية بكل ما أوتيت من قوة مادية ومعنوية الاحتفاظ بمصالحها في الشرق الأوسط عبر المبادرة الشرق أوسطية من جهة وعبر تنصيب ودعم إسرائيل كقوة إقليمية.

6. قائمة المراجع:

الكتب والمؤلفات:

- أحمد صدقي، الدجاني، "الجذور التاريخية للشرق أوسطية"، في: الشرق أوسطية مخطط أمريكي - صهيوني، القاهرة: مكتبة مدبولي، ط.1، 1998
- أيفو دالدر وآخرون، هلال الأزمات "الإستراتيجية الأمريكية_الأوروبية حيال الشرق الأوسط الكبير"، ترجمة: حسان البستاني، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2006
- سيف، الهرمزي، مقترحات القوى الذكية الاميركية كآلية من آليات التغير الدولي "الولايات المتحدة الأمريكية أنموذجاً"، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016

¹ -Barry R.Bozen, *The struggle Against terrorism; grand strategy, and tactics, international security*, vol 26, no.3, (winter 2001/2002) p 14.

الدكتورة: رتيبة برد

- نسيار، الجميل، "المجال الحيوي للشرق الأوسط"، في: العرب وتحديات النظام العالمي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط.1، 1999
- نور الدين، زين، الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان، بيروت: دار النهار للنشر، 1971
- يحيى احمد الكعكي، الشرق الأوسط وصراع العولمة، بيروت: دار النهضة العربية، 2002
- Gaisford. John, *Atlas of Man*, London: Marshal Cavendish Edition, 1978

المقالات والدوريات:

- حسن أبو طالب، "الفكر العربي والشرق أوسطية"، مجلة عالم الفكر، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، المجلد 25، العدد 4، 1997
- حسين علي، أحمد محافظة، "صراع الأدوار في المشرق العربي: نظرات في المستقبل"، المستقبل العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 211، 1996
- صدام مريز، حمد عطية، الصراع الدولي والاقليمي في الشرق الأوسط واثره على المنطقة العربية (انموذج ثورات الربيع العربي)، مجلة تكريت للعلوم السياسية، الموصل: جامعة تكريت، المجلد 03، العدد 11، 2017
- Barry R.Bozen, *The struggle Against terrorism; grand strategy, and tactics*, international security, vol 26, no.3, (winter 2001/2002)

المراجع الإلكترونية:

- مجهول، صراع نفوذ على المغرب العربي بين أميركا وأوروبا، موقع: أخبار ليبيا، في: www.albayan.co.ae
- وليد عبد الحي وآخرون، آفاق التحولات الدولية المعاصرة، (مؤسسة عبد الحميد شومان ودار الشروق، ط.1، 2002)، في عرض لإبراهيم غراية، توقيت النشر الاثنين 2002/8/26، الساعة 07:33، في: www.eljazeera.net
- أحمد سليم البرصان، مبادرة الشرق الأوسط الكبير: الأبعاد السياسية والاستراتيجية، في الإستراتيجية الأمريكية في المنطقة مشروع الشرق الأوسط الكبير، القسم الأول، المتابع الاستراتيجي، 2004، ص 21. انظر الرابط: <http://goo.gl/GaUrb6>